المحور الأول: الايطار النظري للاستشراف في الاقتصاد الدولي(الجزء 1)

تمهيد

حاضرنا هو نتاج لقرارات في الماضي وما قمنا بعمله في الماضي وقد أصبح حقيقة غير ممكن تغييرها، ولا جدوى من تدخّل الإرادة الإنسانية فيه ومستقبلنا بإذن الله هو نتاج لما نقوم به في الحاضر وكلما كانت هذه القرارات مبنية على دراسات مستقبلية كلما كان حاضرنا ومستقبلنا مشرق ومزدهر وبالتالي يُمثّل المستقبل المجال الوحيد المتاح أمام الإرادة الإنسانية للتدخل فيه، غير أنّ عملية التدخّل تتطلّب منا وعي كافة الاحتمالات التي قد تنطوي عليها الظاهرة موضوع الدراسة، وهو أمر لا بدّ له من منهج علمي دقيق ومتطور، وهو ما عمل الباحثون على توفيره من خلال ما يسمى بتقنيات الدراسات المستقبلية، ولذلك يبادر ذهوننا الأسئلة التالية:

ما هي الدراسات المستقبلية؟ هل هي دراسات علمية لها مناهجها وأساليبها وأدواتها أم مجرد حدس وتنبؤات؟ هل نتائجها حتمية أم مجرد احتمالات؟ هل أصبحت تلك الدراسات ضرورة أم أنها جزء من الترف العلمي لا يضيف الكثير؟ وأخيراً، هل تفيد هذه الدراسات في عمليات التغيير في المستقبل بشكل جدي وعملي؟

أولا: ماهية علم الاستشراف

1. تعريف الاستشراف

عرف هذا العلم أو المنهج تحت العديد من المصطلحات المرادفة: علم الاستشراف، علم المستقبل، دراسات البصيرة ، التنبؤ التخطيطي، والتنبؤ الشرطي... وقد سماه ابن خلدون علم التشوف واختلاف التسمية راجع لاختلاف المنشأ، والمدرسة الفكرية. والاستشراف ليس تنجيما أو إطلاع على الغيب ، ولا نقول هنا أننا باستخدام أدوات هذا العلم سنكون قادرين على معرفة المستقبل، وإنما توقع احتمالات قد تحدث بنسب متفاوتة والاستعداد لكل احتمال. وفيما يلي نقترح مجموعة من التعاريف:

- يعرف الاستشراف على أنه فن وعلم التعرف على امكانات و أحداث المستقبل وتقييم الاحداث والتحكم فيها بما يحقق الأهداف المرجوة.
- هو منهج دراسة امكانية اتخاذ قرارات حاضرة من شأنها أن توصل إلى مستقبل مرغوب.
- يعتبر علم الاستشراف في شقه الأول محاولة لتحليل الماضي لاستخلاص الدروس والعبر؛ وفي شقه الثاني استكشاف للحاضر بغية فهمه وتفسيره؛ وفي شقه الثالث والأخير صناعة المستقبل بطريقة منهجية علمية عملية، ومنه يمكن اعتباره عمل علمي عملي هدفه تحليل الماضي، فهم الحاضر وصناعة المستقبل.

❖ **وخلاصة القول الاستشراف أو الدراسات المستقبلية هي تلك الدراسات التي تقوم على متابعة عدد من المتغيرات وتتبع اتجاهاتها الماضية والحالية فيما يخص مختلف المجالات ، واعتمادا على البيانات المجمعة يتم خلق سيناريوهات مختلفة للأحداث المستقبلية المحتملة. ويمكن القول أن الاستشراف يجعلنا نستعد للمستقبل ونضع خططا استراتيجية حول المخاطر والتحديات.**

2. مراحل الاستشراف وقطاعاته

أ. مراحل الاستشراف

المدى القريب:لمدة تصل إلى عام واحد بدءا من اللحظة الراهنة.

المدى القصير :من عام إلى خمسة أعوام بدءا من اللحظة الراهنة .

المدى المتوسط: من خمسة أعوام إلى عشرين عاما بدءا من اللحظة الراهنة.

المدى الطويل:من عشرين عاما إلى خمسين عاما بدءا من اللحظة الراهنة

المدى البعيد: أكثر من خمسين عاما بدءا من اللحظة الراهنة.

ب. القطاعات الحيوية لاستشراف المستقبل

3. خصائص ومبادئ الاستشراف

أ. مبادئ الاستشراف

- استخلاص عبرة من الماضي من خلال دراسة أهم التطورات على المستويين الدولي والإقليمي وما ينتج عنها من تأثيرات مثل : الفرص المتاحة ، القيود المفروضة أو التهديدات والمخاطر الناجمة بهدف تحديد صور مستقبلية؛
- تصور وضع مستقبلي، لعقدين أو ثلاث عقود لتحديد بالتفصيل الأهداف والمصالح وذلك باستخدام النماذج الرياضية الحديثة؛
- تجنب أي انحياز ايديولوجي، والانطلاق من المسلمات والافتراضات المتفق عليها من مختلف اتجاهات البحث العلمي والفكري والعقائدي والتكنولوجي؛
- تعيين القدرات اللازمة لانجاز أي مسار مستقبلي، وحساب النفقات اللازمة والمخاطر، وكذلك تحديد الأليات اللازمة للتنمية والتي ينبغي أن تشمل أهداف معروفة علميا، وتطوير الخبرات العلمية في مجال ادارة المشاكل المعقدة.
- التركيز على عوامل التنمية في مختلف القطاعات، لتحقيق الأهداف بشكل فعال.

- اعتماد سيناريوهات مختلفة، معدة سلفا، لجميع الحالات الطارئة المحتملة، والتي تخزن للسماح بعد ذلك باستخدامها من صانعي القرار، وفقا لحجم الأزمة المستقبلية المحتملة، هذه العوامل.

ب. **خصائص الدراسات المستقبلية:**

ثمة مجموعة من الخصائص المنهجية المرغوب فى توافرها فى الدراسات الاستشرافية الجيدة . ومن أبرز هذه الخصائص ما يلى :

- **الشمول والنظرة الكلية holistic للأمور** . فليس من السهل الحديث عن دراسة مستقبلية للاقتصاد الجزائري مثلاً فى غياب رؤية مستقبلية للأوضاع السياسية ، ولحالة العلم والتكنولوجيا ، ولأوضاع السكان والموارد والبيئة ، وللتغيرات فى المحيط الإقليمى والإطار العالمى . ومن المهم أن تدرس العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ... الخ فى تشابكها وتفاعلها مع بعضها البعض ، حتى تتوافر رؤية شاملة ومتكاملة لمستقبل هذا الاقتصاد .

تداخل الظواهر وترابطها يفرض على المستشرف النظرة الشاملة للظاهرة حتى ولو كانت جزئية؛ فالكثير من الظواهر لما تدرس على المدى الطويل نجدها تتغير بفعل متغيرات خارجية قد أهملت على المدى القصير (أثر جد محدود أو معدوم على المدى القصير)؛ لذا وجب على المستشرف أن يأخذ جميع المتغيرات في الحسبان لما يتعلق الأمر بدراسة طويلة المدى.

- **مراعاة التعقد complexity** أى تفادى الإفراط فى التبسيط والتجريد للظواهر المدروسة ، والتعمق فى فهم ما يزخر به الواقع من علاقات وتشابكات ، ولا يقين ، وديناميه . وهو ما يتطلب النظر إلى الظاهرة المركبة فى مجملها من خلال منهج عابر للتخصصات transdisciplinary ، حيث لا يجدى " التفكيك " وفهم كيفية عمل كل جزء من أجزاء الظاهرة على حدة فى الخروج بصورة صحيحة عن سلوك مثل هذه الظاهرة ، حتى لو تضمن ذلك اللجوء إلى حقول معرفية متعددة .
- **القراءة الجيدة للماضى باتجاهاته العامة السائدة ، وكذلك التعرف على الاتجاهات الأخرى الراهنة ،** لاسيما الاتجاهات البازغة والاتجاهات المضادة للاتجاه العام السائد ، حيث كثيراً ما تشكل الأخيرة مفاتيح جيدة لفهم الاتجاهات المحتملة فى المستقبل . ومن جهة أخرى تشتمل القراءة الجيدة للماضى على **القراءة الجيدة لتجارب الآخرين وخبراتهم** ، واستخلاص دروس منها قد تفيد (بمنطق المحاكاة) فى فهم آليات التطور وتتابع المراحل ، وكذلك فى التعرف على القيود على الحركة وإمكانات تجاوزها .
- **المزج بين الأساليب الكيفية والأساليب الكمية فى العمل المستقبلى** ، حيث يندر أن تفى الأساليب الكيفية وحدها أو الأساليب الكمية وحدها بمتطلبات إنتاج دراسة مستقبلية جيدة . ومن جهة أخرى ، ثبت أن تعدد الأساليب المستخدمة فى دراسة ظاهرة ما والمزج بين نتائجها ، كثيراً ما يؤدى إلى نتيجة أفضل مما لو جرى الاعتماد على أسلوب واحد . وعموما يتيح المزج بين أساليب متعددة – كيفية وكمية – تجاوز قصور النظريات

والنماذج التى تبنى عليها عن طريق اللجوء إلى أساليب كيفية لمحاكاة الواقع بتفاصيله وتعقيداته الكثيرة ، وللتعرف على ردود الفعل المحتملة لبعض التصرفات من جانب الفاعلين فى النسق محل الدراسة .

- **الحيادية والعلمية** لما كان المستقبل يدرس من خلال بدائل متنوعة ، يمثل كل منها سيناريو أو مساراً مستقبلياً يتوافق مثلاً مع رؤية أو مصالح هذه القوة الاجتماعية – السياسية أو تلك فى المجتمع ، فإن على دارس المستقبلات البديلة أن يتحلى بدرجة عالية من الحيادية والعلمية – أولاً – فى التعرف على البدائل ، وعدم استبعاد بدائل معينة لمجرد رفض الدارس لمنطلقاتها أو ادعاءاتها ، و – ثانياً – فى تحليل هذه الادعاءات ، واستكشاف تداعياتها ، وتقييم ما لها وما عليها وفق مجموعة معايير متفق عليها سلفاً .
- **عمل الفريق والإبداع الجماعى** وهو ما يعنى إنجاز الدراسة المستقبلية عن طريق فريق عمل متفاهم ومتعاون ومتكامل . فذلك أمر تفرضه طبيعة الدراسات المستقبلية التى تعتمد على معارف مستمدة من علوم متعددة ، والتى تستوجب دمج هذه المعارف وفق منظور أو إطار عابر للتخصصات . كما أن الجماعية مفيدة للوصول إلى تصورات وتنظيرات وحلول جديدة للمشكلات ، وذلك من خلال ما تتيحه من مواجهات بين المناهج والرؤى المختلفة لأعضاء فريق العمل .
- **التعلم الذاتى والتصحيح المتتابع للتحليلات والنتائج** . فالدراسة المستقبلية لا تنجز دفعة واحدة (one-shot exercise) . بل إنها عملية متعددة المراحل يتم فيها إنضاج التحليلات وتعميق الفهم وتدقيق النتائج من خلال دورات متتابعة للتعلم الذاتى والنقد الذاتى ، وتلقى تصورات أطراف وقوى مختلفة وانتقاداتهم واقتراحاتهم ، والتفاعل معها من خلال اللقاءات المباشرة والأدوات غير المباشرة لإشراك الناس فى تصور وتصميم المستقبلات . وكلما تكررت عمليات التفاعل والنقد والتقييم والاستجابة لها بالتعديل والتطوير فى التحليلات والنتائج ، زادت فرص الخروج بدراسة مستقبلية راقية ، لاسيما من زاوية ارتباطها بالواقع الاجتماعى ، وزادت معها فرص تأثير الدراسة فى الفعل الاجتماعى

4. الفرق بين التخطيط الاستراتيجي والاستشراف المستقبلي.

التخطيط الاستراتيجي	الاستشراف المستقبلي
– التخطيط الاستراتيجي قد يمتد إلى خمس أو عشر سنوات – عندما تتم عملية التخطيط الاستراتيجي فإنه ينم التركيز على مجال معين لوضع الخطة له ، كالتخطيط في المجال الاقتصادي، الأمني أو التعليمي. – التخطيط الاستراتيجي لاحق للاستشراف المستقبلي	– الاستشراف المستقبلي يمتد إلى 25 سنة أو أكثر. – يتطلب الاستشراف المستقبلي النظر إلى جميع المجالات الاقتصادية ، الاجتماعية والسياسية وغيرها ، وتفحص كل مجال على حده. – الخبير المستقبلي قادر على اعطاء المخطط الإستراتيجي الفرص التي سيحصل عليها على المدى البعيد وما هي المخاطر المتوقعة أيضا.

- نسبة نجاح الخطط الاستراتيجية ستكون أكبر لو كانت مبنية على استشراف المستقبل.	- **إن** خبير الاستشراف قادر على اعطاء بدائل واحتمالات المستقبل المتوقعة في مجال ما، وسيقوم متخذ القرار بإختيار احدى تلك البدائل والمخطط الاستراتيجي مهمته وضع خطة لتحقيق ذلك المستقبل.

مثال توضيحي لتبيان الفرق بين الاستشراف الاسترتيجي والتخطيط الاستراتيجي

السفينة التي تحتوي على بحارة، مهامهم مختلفة ومقسمة، واحد فقط وهو اخفهم وزنا مكلف بالصعود الى اعلى نقطة في السفينة والنظر الى الامام، هو الوحيد الذي يستطيع معرفة مالذي قد تواجهه السفينة، فينظر الى الافق البعيد جدا، ليقول الى القبطان ان السفينة قد تتعرض الى بعض المتاعب ولكنني لا استطيع ان اجزم ماهي، قد تكون عاصفة امامنا، او امطار غزيرة او قراصنه. مهمة القبطان هنا تكليف البحارة للاستعداد لكل تلك الاحتمالات المتوقعة، والتغلب عليا في حالة وقوعها. فالبحار الصاعد للاعلى هو المستشرف، القبطان هو متخذ القرار، والبحارة هم اصحاب الخطط الاستراتيجية والتشغيلية.